ثانيا: المنهج التاريخي:

يتخذ هذا المنهج دراسة لغة محددة عبر الزمن، للكشف عن التغير اللّغويّ على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. فيتتبع الظاهرة موضوع البحث في نشأتها وتطورها وتغيراتها عبر تاريخ اللغة، وصولاً إلى وضعها المعاصر. مثال ذلك: اختيار مجموعة من الألفاظ، ودراسة دلالتها في الشعر الجاهلي، ثم معانيها في العصور الإسلامية إلى عصرنا الحاضر.

ويعتمد المنهجُ التاريخيُّ المنهجَ الوصفيَّ الذي يأتي ممهدًا للدراسة التاريخية، فعلى سبيل المثال يمكن لنا تناول ظاهرة لغوية بالبحث التاريخي بين العصر الجاهلي والعصر الإسلامي (مدتين متقاربتين)، أو بين العصر الجاهلي والعصر الحديث (مدتين متباعدتين)، أو تناول الظاهرة من العصر الجاهلي، مرورًا بكل العصور حتى العصر الحديث (مدد متعاقبة)؛ فتأتي الدراسة الوصفية بكل أبعادها: (تحديد الزمن، وتحديد المكان، وتحديد المستوى، وتحديد الظاهرة اللغوية، والتزام المنهج العلمي وما يتطلّبه من دقة وموضوعية)؛ لإنجاز وصف الواقع اللغوي لكل عصر من العصور، ثم يأتي بعد ذلك دور الدراسة التاريخية التي ترصد التغير اللغوي.

وعالِم اللغة التاريخي لا يستطيع الاعتماد على الكتابة فقط لتتبع التطور الذي يطرأ على اللغة لسببين هما:

١. إن الصيغة المكتوبة للغة تؤدي إلى تعطيل تيار التغيير الذي يلحق لغة الكلام بسرعة، فلغة الكلام عرضة لتغييرات طبيعية فطرية، لبُعدها عن المركز، وتعبر عن نفسها بسرعة عبر الزمن وتظهر في شكل لهجات عبر الزمان، فمثلاً نجد أن صوت الغين يعبر عنه في الانجليزية أساساً بـ (gh)، أما الآن فإن هذا الصوت اختفى من أصوات الانجليزي المعاصر فإنه لا ينطقه، أما الكتابة فما زالت ترسم في العصور السحيقة من القدم مثل كلمة (Night).

٢. إن الكتابة قد ترمز للصوت برمز يختلف عن الرمز الأصلي لهذا الصوت مثل C التي تنطبق كافأ في (Camel) في حين أن الرمز الأصلي للكاف هو (k) كما في (Milk. ونلاحظ ذلك في (أل) الشمسية مثل: الشمس، وفي الألف التي تلي واو الجماعة في الأفعال مثل: كتبوا وسافروا وقد يحدث العكس، وهو أن يميل النظام الكتابي إلى نطق فتحة طويلة، ولكن الكتابة لا تثبتها مثل: (هذا) و (هذه) و (طه) و (عبد الرحمن).

لهذا يعتمد عالِم اللغة التاريخي على المادة الحية أيضاً أي على اللهجات المنطوقة ويجمعها جمعاً علمياً بمنهج خاص يعرف باســم الجغرافيا اللغوية، ويجمع الصــور النطقية المتنوعة على خرائط مكوناتها ما يعرف بـــــ (لأطلس اللغوي) لأن دراســة اللهجات تُعَدُّ أداة توضــح جوانب من التاريخ اللغوي القديم، أي أنها وسيلة لفهم الماضي.

والباحث في مجال علم اللغة التاريخي يعتمد على الأســـس الآتية في تحليل المادة اللغوية الحية والمدونة.

١. مقارنة الظواهر اللغوية المرتبطة بتاريخ حدوثها أن أمكن ذلك، وملاحظة تغيير هذه الظاهرة من مدة إلى أخرى.

٢. عند افتقاد التحديد التاريخي يمكن مقارنة المادة اللغوية المتفرقة قديمها وحديثها، واستنباط مظاهر التطور ومساراته عبرها بناءً على الاجتهاد القائم على أساس مجموعة من الاتجاهات العامة التي تتحكم في التطور اللغوي، ومن هذه الاتجاهات مثلاً الاتجاه إلى التخفيف في بعض الصــيغ، بحيث يمكن الاســتنباط أن الصــيغة الخفيفة أحدث من اللهجة التي تتداول الصــيغة الكاملة، ونتيجة لهذا التخفيف قد تتحول الأفعال إلى أدوات مثل تحول الفعل نَعِمَ إلى نِعْمَ، وكان الكاملة إلى كل ناقصة.